

🏆✍️ گ/أَحْمَدِ حَسِينِ



أمواج ففي ليلة مظلمة



مقدمة

في "أمواج في ليلة مظلمة"، يأخذنا الكاتب أحمد حسن في رحلة مليئة بالغموض والتشويق. يحيى، بطل القصة، يجد نفسه في مواجهة مع البحر الذي يخفي أسرارًا قد تغير مسار حياته. تلك الأمواج العاتية في ليلة مظلمة تمثل التحديات التي يواجهها في البحث عن هويته وماضيه.

الكتاب لا يقتصر على مغامرة بحرية فحسب، بل هو رحلة لاستكشاف الذات والتصالح مع الماضي. يحيى، الذي يواجه بحرًا مليئًا بالألغاز، يبدأ في اكتشاف أن كل موجة تعكس جزءًا من نفسه المفقودة.

أحمد حسن، الكاتب الشاب ذو السابعة عشرة عامًا، يقدم لنا قصة تجمع بين الإثارة والعمق النفسي، بأسلوب سهل وجذاب. من خلال أحداث الكتاب، يكتشف القارئ أن البحر ليس مجرد مكان مادي، بل هو مرآة للأرواح، يخبئ أسرارًا وأحلامًا قد تكون أعظم من أي مغامرة. "أمواج في ليلة مظلمة" هو دعوة للغوص في أعماق النفس البشرية، ومواجهة الأسئلة التي نحاول تجنبها.

الفصل الاول

امواج في ليلة مظلمة

كانت السماء في تلك الليلة ملبدة بالغيوم السوداء، والرياح تعصف بكل شيء في طريقها. موجات البحر المرتفعة كانت تصطدم بجانب السفينة كأنها وحوش جائعة، تتطلع لابتلاع كل ما يعترض طريقها. في تلك اللحظة، كان لا شيء يشير إلى الأمل في الأفق، سوى القمر الذي كان يطل خجولاً بين السحب المظلمة، يضيء بضوء ضعيف لم يكن كافياً لطرد ظلام الليل. على متن السفينة المتهالكة، كان "يحيى" يقف أمام عجلة القيادة، قلبه ينبض بقوة. عمره لم يتجاوز السابعة عشرة، لكنه وجد نفسه في هذا الموقف الحرج بسبب قرار اتخذته أسرته بأن يسافر عبر البحر، رغم كل التحذيرات التي كان قد سمعها عن العاصفة المقبلة. كان يشعر بقبضة من الخوف تلتف حول قلبه، لكن عزمه كان أقوى من خوفه. كان يعلم أنه لا يمكنه الهروب الآن. بينما كانت الرياح تعصف بالأشعة، كان يحيى يتذكر كلمات جده، الذي كان بحاراً قديماً: "في البحر، تعلم أن تكون أقوى من مخاوفك. لكن لا تنسَ أبداً أن البحر لا يرحم، فهو قادر على أخذ كل شيء، لكنه في المقابل يمكنه أن يمنحك أكثر مما تتخيل." لم تكن هذه أول مرة يواجه فيها يحيى بحراً هائجاً، ولكن هذه المرة كانت مختلفة. كانت هناك شيئاً غريباً في هذا البحر، شيء مظلم يختبئ في أعماقه. كان يشعر بشيء غير مريح في أعماقه، شعور بأن هناك قوة خفية تراقبهم في الظلام. كان طاقم السفينة مشغولاً بمحاولة السيطرة على الأشعة، وكان كل شيء يتحرك بشكل عشوائي في كل زاوية. الأمواج كانت تتدفق على متن السفينة،

والسقف كان يهتز من قوة الرياح. كان يحيى يصر على البقاء في مكانه، عينه على البحر، عقله في حالة من التأمل. ماذا كان ينتظره في هذا البحر المظلم؟ ما الذي سيتعلمه هذه المرة؟ ولكن في تلك اللحظة، بدأ شيء غريب يحدث. كان هناك شيء غامض في المياه، شيء لامع يبرز من بين الأمواج. كانت اللمعة تتألق في الظلام، كأنها كانت تناديه. هكذا بدأ يحيى يشعر وكأن السفينة تجره نحو شيء ما في أعماق البحر. "ما هذا؟" همس لنفسه، بينما كان يحدق في تلك اللمعة التي تزداد سطوعًا مع مرور الوقت. كان لا يعرف ما إذا كان ذلك مجرد خيال أو شيء أكثر من ذلك. لكن الأمور لم تكن كما يظن. في تلك اللحظة، انفجرت أمواج البحر في ارتفاع هائل، واندفعت السفينة إلى الأعماق.

الفصل الثاني

رحلة عبر الظلام

اندفعت السفينة في قلب العاصفة وكأنها قطعة خشب صغيرة في بحر هائج. كان يحيى ممسكًا بعجلة القيادة بكل قوته، يحدق في الأمواج المرتفعة التي كانت تحيط بهم من كل جهة. العاصفة كانت في أوج قوتها، والريح تعوي كوحش جائع، بينما كانت الأمواج تتلاطم بشكل جنوني. فجأة، سمع صوتًا غريبًا آتٍ من أعماق البحر، صوتًا يشبه الهمسات المبحوحة. هل كان خياله؟ أم أن هناك شيء آخر يختبئ في ظلام الأعماق؟ نظرت عيناه إلى السفينة التي كانت تعاني تحت تأثير العاصفة. بدأ الطاقم يتسابق من أجل تأمين الأشرعة التي كادت أن تتمزق بفعل الرياح العاتية. كان الظلام يزداد كثافة، وكأن الليل قد ابتلع كل شيء من حولهم. يحيى كان يشعر بشيء غير عادي. في هذا البحر، كان هناك شيء غامض، شيء مظلم ينتظر أن يبتلعهم. ومع مرور الوقت، بدأ قلبه ينبض بسرعة أكبر. "هل سننجو من هذا؟" تساءل يحيى بصوت منخفض، وهو يثبت نفسه أمام عجلة القيادة. كان يعلم أن هذه العاصفة لا تشبه أي شيء مر به من قبل. البحر هنا كان يخفي أسرارًا أكبر من مجرد أمواج هائجة. كانت هناك قوة خفية، ربما كانت هي التي جعلت البحر يثور بهذا الشكل. لكنه لم يكن قادرًا على فهم ما يحدث، فكلما فكر في ما كان يمكن أن يحدث، زاد الشعور بالخوف والقلق في قلبه. وفجأة، حدث ما لم يكن يتوقعه. ظهرت أمامه فجوة صغيرة في السماء، مكان خالٍ من السحب الداكنة، حيث اخترق ضوء القمر الفضي المظلم. كان هذا الضوء يوجه نظره نحو البحر، وكأنه يراه للمرة الأولى. كانت المياه هناك مختلفة

كما لو كانت تتوهج بضوء خافت. شعور غريب انتابه،
وكأن البحر نفسه يناديه. كان يحيى يشعر بشيء غريب
في قلبه، شيء أقوى من الخوف، شيء يجذبه نحو تلك
المياه اللامعة. "ماذا يحدث هنا؟" همس يحيى في
نفسه، بينما كان الطاقم يركضون حول السفينة، يحاولون
استعادة السيطرة. لكن عيناه لم تترك تلك اللامعة في
البحر. كانت قريبة الآن أكثر من أي وقت مضى. شعور
غريب كان يسري في عروقه، شعور وكأن هناك شيئاً أكبر
من الإنسان، أقوى من كل ما يعرفه، يتجسد أمامه في
هذه اللحظة. سحب نفسه من أفكاره عندما شعر
بالسفينة تميل فجأة، وكان الصوت القادم من أعماق
البحر يتصاعد، كأنه يناديهم، يأمرهم بالذهاب إلى تلك
اللامعة. وبينما كانت السفينة تزداد تمايلًا، بدأ يحيى
يكتشف شيئاً غريباً في المياه. كانت هناك حركة تحت
السطح، شيء كان يتحرك بسرعة، كما لو كان شيئاً حياً.
وسرعان ما ظهرت أمامه صورة حادة، حية، تتجسد في
أعماق البحر. هل كان ذلك مجرد خيال؟ أم أنه كان يواجه
شيئاً حقيقياً، شيئاً لم يسبق له أن تصوره؟

الفصل الثالث

الْحَقِيقَةُ فِي الْأَعْمَاقِ

كان الظلام قد استولى على البحر بالكامل، والأمواج الهائجة تعلو وتغرق السفينة في غمراتها. كانت الرياح تعصف بكل شيء، كأنها تحاول تمزيق السفينة إلى قطع صغيرة، لكن يحيى كان متمسكًا بعجلة القيادة بكل قوته. كان يشعر وكأن قلبه أصبح جزءًا من هذا البحر المظلم، مع كل لحظة تمر، يزداد الشعور بالعزلة. ومع تزايد العاصفة، أصبح الصوت الذي كان يسمعه يحيى أكثر وضوحًا، كان يشبه الهمسات، أو ربما أصواتًا غريبة تخرج من أعماق البحر. كان الصوت يدعو إليه، وكأن شيئًا ما في الأعماق كان ينجذب إليه، يدعو له ليكتشف سرًا قديمًا. كان يحيى لا يزال غير قادر على تفسير ما يحدث، لكنه شعر بأن البحر ليس مجرد مساحة من الماء. كان هناك شيء غير مرئي يتحرك في الأعماق، شيء يقبع في الظلام بانتظار اللحظة المناسبة ليظهر. نظرت عيناه إلى البحر الذي بدا أكثر هدوءًا الآن، رغم أن الرياح ما زالت تعصف بكل شيء. في تلك اللحظة، ظهرت أمامه صورة غريبة على سطح الماء. كانت دائرة من الضوء اللامع تتكون تدريجيًا، وكأنها تظهر من أعماق البحر، مضيئة كالجوهرة المخبأة في الظلام. في البداية اعتقد أن هذا مجرد خيال، لكنه شعر بأن هذا الضوء ليس عاديًا. كان هناك شيء غريب في هذه اللامعة، شيء يجذبه نحوها بقوة لا يمكن مقاومتها. "ما هذا؟" همس يحيى لنفسه، وهو يحدق في الضوء الذي بدأ يزداد سطوعًا مع مرور الوقت. كانت الدائرة تزداد اتساعًا، والضوء يكشف عن حركة تحت السطح، شيئًا يسبح بسرعة رهيبية نحو السفينة. كان يحيى يشعر بشيء عميق في قلبه

شعور غريب، وكأن البحر كله يتنفس الآن، وكأن هذه اللحظة هي بداية شيء لا يمكن تفسيره. ومع اقتراب الضوء من السفينة، بدأت الأمواج تهدأ تدريجيًا، وكأن البحر يفتح أمامهم طريقًا نحو هذا السر الغامض. وبينما كانت السفينة تقترب من الضوء المتوهج، شعر يحيى بوجود شخص آخر في المكان. لم يكن شخصًا ماديًا، بل كان شيئًا روحيًا، شيئًا كان يراقبه من بعيد. كان يشعر به في كل لحظة، وكأن ذلك الشخص يمد يده إليه من الأعماق، يدعو للغوص في هذا السر الذي يتوارى في البحر. "هل يجب أن أذهب؟" كان يحيى يتساءل في نفسه. كان يعلم أن هذه اللحظة قد تكون نقطة التحول في حياته، لحظة قد تفتح له أبوابًا غير مرئية، وتكشف له أسرارًا لم يكن يعرفها من قبل. كان الصوت الغامض في قلبه يزداد قوة، يشجعه على المغامرة. لكن هل هو مستعد لذلك؟ هل هو مستعد لكشف الحقيقة التي تتنكر في أعماق البحر؟ بينما كانت السفينة تزداد اقترابًا من الدائرة المتوهجة، شعر يحيى بشيء قوي يجذبه نحو البحر، نحو الظلام، نحو الحقيقة التي كانت مخفية طوال هذه السنوات. كانت الأمواج تعود للارتفاع مرة أخرى، لكن هذا الضوء الذي أصبح أكثر سطوعًا كان يضيء طريقه إلى المجهول. كانت العاصفة قد انتهت، ولكن البحر كان يخبئ له شيء أكبر مما يتصور. هل هو على وشك اكتشاف سر البحر؟ أم أن هناك شيئًا آخر ينتظره في هذا الظلام العميق؟

الفصل الرابع

الغرق في المجهول

كانت السفينة تزداد اقترابًا من الضوء المتوهج الذي لا يمكن تفسيره، وكان يحيى يشعر وكأن كل شيء حوله يتلاشى، كما لو كان البحر قد ابتلع الزمان والمكان. الرياح كانت قد هدأت تمامًا، والأمواج اختفت تمامًا، وكأن البحر قد استسلم للأمر الغامض الذي يحيط به. في تلك اللحظة، شعر يحيى وكأن العالم كله قد توقف، وكأن الزمن قد علق بين لحظتين، بين الحاضر والمستقبل. كان الضوء الذي ينبعث من البحر الآن أقوى من أي وقت مضى. لم يكن ضوء قمر، بل كان شيء آخر، شيء كان ينبض بالحياة، وكأن البحر نفسه يحمل في أعماقه سرًا قديمًا يحاول أن يكشفه. كانت الصورة التي شكلها الضوء تشبه مرآة ضبابية، منعكسة على سطح الماء، تكشف عن شيء عميق، شيء غير مرئي كان يراقب السفينة. "ماذا يحدث هنا؟" همس يحيى بصوت خافت، وهو يحدق في الضوء. كان يشعر بيد غريبة، قوة خفية، تدفعه نحو البحر. كان يده مشدودة إلى عجلة القيادة، لكنه شعر وكأن جسده أصبح ثقيلًا، كما لو كان يسبح في مكان غير هذا العالم. ثم، وكأن الزمن عاد للحركة، غمر شعاع ضوء مفاجئ السفينة. اختفت كل الأصوات من حوله، وعادت الرياح لتصبح عاصفة ثانية. ولكن هذه المرة، كانت الرياح مختلفة، كانت أشد قسوة، وكأنها كانت تدفعهم إلى الأمام بقوة خارقة. عندما نظر يحيى إلى البحر مرة أخرى، كانت المياه قد انقلبت تمامًا. بدلاً من البحر الأزرق الداكن، كان يرى مياهًا سوداء داكنة، وكأنها تنبض بالحياة. كانت تلك المياه تتلاطم كأنها تُعوج بأنفاسٍ غامضة، تتراقص في نمط غير طبيعي.

كان الكائن ضخماً لدرجة أنه كان يكاد يملأ السماء بأسره. "هل هو... وحش بحر؟" همس يحيى في خوف، بينما كانت عيناه تتابعان الحركة الغريبة لهذا الكائن. كان الهواء محملاً بشعور قوي بالتهديد. البحر نفسه كان يهدده. كان هذا الكائن الذي يسبح في الظلام هو من يسبب هذا الاضطراب. كان وحشاً قديماً، ربما كان يحرس شيئاً ما في الأعماق. كانت السفينة تزداد تمايلاً. كان يحيى يدرك أن عليهم الهروب قبل أن يتلغهم البحر بالكامل. لكن تلك الكائنات العميقة في البحر كانت أقوى من أي شيء توقعه. كان يعلم الآن أن هذا البحر لا يحمل فقط أسراراً قديمة، بل وحوشاً بحرية كانت تحكمه منذ العصور. لكن قبل أن يتمكن من التفكير في الخطة التالية، بدأت السفينة تغرق. بدأ الماء يتسرب إليها بسرعة، وكانت الرياح تعصف بها. كان يحيى يدرك أن هذه اللحظة كانت لحظة الخطر. "هل سننجو؟" تساءل في نفسه، وهو يحدق في الكائن الضخم الذي يقترب بسرعة.

الفصل الخامس

مَوَاجِهَةٌ الْمَجْهُولَ

كانت السفينة تكاد تنقضّ تحت الأمواج المتلاطمة، وكان يحيى يراقب بحيرة وهو يشهد الكائن الضخم يقترب أكثر فأكثر. كان قلبه ينبض بشدة، وأفكاره تتسارع. لم يكن يعرف إذا كان ما يراه حقيقة أم مجرد خيال، لكنه كان يعلم أن لا وقت للتفكير. البحر قد أصبح أكثر عدوانية، وكل لحظة تمضي كانت تهدد حياتهم. تسارعت الأمواج حول السفينة بشكل مفاجئ، كأن البحر نفسه يتنفس بكثافة أكبر. كانت الرياح تعصف بأشعة السفينة الممزقة، بينما كان الكائن الغريب يقترب، يُحرك المياه من حوله بعنف، محدثًا دوامات ضخمة تجذب السفينة نحو الأعماق. "لا يمكن أن نغرق هنا!" فكر يحيى في نفسه، وهو يركض نحو الطاقم المذعور. كانوا يصرخون، يحاولون السيطرة على السفينة التي كانت تغرق بسرعة. كان يحيى يعلم أن عليهم التحرك بسرعة. لم يكن لديهم وقت لمناقشة ما كان يحدث. البحر كان يزداد غضبًا، وكل لحظة كانت تعني خطرًا أكبر. لكن ذلك الكائن، الذي كان يسبح تحت سطح الماء، كان غير عادي. لم يكن يشبه أي شيء رآه من قبل. كانت عيونه تتوهج باللون الأخضر، وكأنها تحمل في عمقها سرًا قديمًا، سرًا كان يحاول البحر الاحتفاظ به لآلاف السنين. كان يحيى يشعر بنظراته وهو يتأمل في هذا الكائن الضخم، وكان هناك شيء غريب يحدق فيه، شيء لا يمكن تفسيره. توقف يحيى لبرهة، وهو ينظر إلى الطاقم الذي كان يحاول الإمساك بأنفسهم وسط الفوضى. كان عليهم أن يهربوا من هذا البحر العاتي، لكن كيف؟ ماذا يمكنهم أن يفعلوا أمام هذا الكائن الذي كان يراقبهم

كأنه على دراية بكل تحركاتهم؟ فجأة، لاحظ يحيى شيئاً غريباً في المياه. كان هناك شيء يتوهج في الأسفل، شيء صغير مقارنة بالكائن الضخم الذي كان يحوم حول السفينة. كان ضوءاً خافتاً، ولكنه كان أكثر إشراقاً في الظلام. كان يحيى يعلم أن هذا هو المفتاح. هناك شيء ما في الأعماق قد يكون هو الوحيد القادر على إنقاذهم. أخذ يحيى نفساً عميقاً، وعيناه لا تفارقان ذلك الضوء الخافت. أدرك أن عليه أن يذهب إلى هناك، إلى عمق البحر، حيث تكمن الإجابة. كان يعلم أن المغامرة التي بدأها لم تكن مجرد رحلة بحرية، بل كانت معركة مع قوى قديمة، ومعركة للبقاء على قيد الحياة. "علينا أن نغرق في البحر. لنعثر على مخرج!" صرخ يحيى، وهو يقفز إلى الماء قبل أن يوقفه أحد. كانت الأمواج العالية لا تزال تعصف، لكن عزمه كان أقوى من الخوف. غمره البحر دفعة واحدة، وهو يحاول السباحة نحو الضوء. كان يحيى يحاول الوصول إلى المكان الذي ظهرت فيه اللامعة، لكن البحر كان يعاكسه في كل خطوة. كلما اقترب، زادت شدة الأمواج، وكأن البحر يرفض السماح له بالوصول. لكنه لم يتراجع. كان يعلم أنه لا خيار أمامه سوى المضي قدماً، رغم كل شيء. ومع كل حركة، كان يشعر بالهياج في الماء، كان يحس وكأن البحر نفسه يعاقبه. لكنه في النهاية وصل إلى نقطة الضوء، مكان سطوعه يكشف عن قاع البحر، حيث كان هناك شيء غريب، كائن صغير لكنه قوي، يبدو وكأنه يحمل مفتاحاً للنجاة. لكن كيف يمكنه الوصول إليه؟ كان الوقت قد بدأ ينفد، وكان يحيى يعلم أنه إذا لم يجد الطريقة للهرب الآن، فإنهم جميعاً سيغرقون في هذا البحر المظلم إلى الأبد.

الفصل السادس

اللحظة الحاسمة

كان يحيى يسبح بكل قوته نحو الضوء الذي بدأ يزداد سطوعًا، وهو يشعر أن البحر قد أصبح أكثر قسوة في تعامله معه. الأمواج كانت تعاكسه بشكل متسارع، وكان الماء يحيط به من كل جانب، وكأن البحر نفسه كان يحاول دفعه بعيدًا عن ذلك السر الغامض الذي كان يقترب منه. كلما اقترب يحيى من مصدر الضوء، كان قلبه ينبض بقوة أكبر، كأن شيئًا غريبًا يجذبه نحو هذا المكان. كانت المياه تتراكم حوله بشكل غير طبيعي، وكان يشعر بشيء ثقيل، يضغط عليه من كل اتجاه. وكأن البحر يرفض إعطائه الإجابة التي كان يبحث عنها. تسارعت ضربات قلبه وهو يقترب أكثر من نقطة الضوء المتوهجة في الأعماق. كانت المياه أكثر صفاءً هنا، وكان الضوء الذي ينبعث من الأسفل يشع في شكل دوائر متداخلة، يشبه المرايا التي تعكس الضوء. كان يحيى يشعر بشيء غير عادي في تلك اللحظة، وكأن البحر نفسه يتنفس معه، يراقب كل حركة له. ولكن فجأة، سمع صوتًا غريبًا، صوتًا مدويًا يخرج من أعماق البحر. كان الصوت أشبه بصوت زئير بعيد، يتردد في الأعماق، ويشعر به يحيى في قلبه. كان الصوت يزداد قوة، وكأن البحر نفسه كان يصرخ. شعور بالرهبة اجتاحه، لكنه قرر أن يتجاهل خوفه، وأن يواصل السباحة نحو هدفه. وعندما اقترب أكثر من تلك الدوائر المضيئة، اكتشف شيئًا غير متوقع. كان هناك شيء غير مرئي، شيء كان يتشكل أمامه من داخل المياه، وكان يحاول عرقلة تقدمه. كانت تلك القوة الغامضة التي كانت تحيط بالبحر، تمنعه من الوصول إلى المصدر الحقيقي للضوء.

"ما هذا؟" همس يحيى، وهو يحاول السباحة بقوة أكبر. ولكن، بدلاً من الهروب، بدأ الضوء ينبعث بقوة أكبر، وكأن البحر قد بدأ يفتح له الطريق. الماء حوله بدأ ينحسر، وكأن هناك شيئاً ما يسحب المياه إلى الداخل، ليكشف عن شيء عميق في الأعماق. ومع تلك الحركة المفاجئة للمياه، بدأ يحيى يرى شيئاً غير عادي. كان هناك حجر ضخم، مغطى بالطحالب والأصداف البحرية، يسطح من داخله الضوء. كان الحجر يبدو قديماً جداً، وكأنه يحمل في طياته سرّاً غامضاً، شيئاً قديماً يعود إلى العصور البعيدة. كان يحيى يحدق فيه بدهشة، وهو يحاول فهم ما يعنيه. ثم، كما لو أن البحر قد بدأ يهدأ، شعر يحيى بشيء غريب يمر عبره. كان هذا الشعور يشبه الرسالة، وكأن البحر يرسل إليه شيئاً، شيئاً يخبئه في أعماقه، شيء يعلمه سرّاً قديماً. اقترب يحيى من الحجر أكثر، وعينيه لا تفارقان ذلك الضوء المنبعث منه. عندما وضع يده على الحجر، شعر بشيء غريب، كأن قوة غير مرئية قد عبرت عبره، شعور بالارتباط العميق مع البحر، كما لو أن الزمن قد توقف للحظة. لكن في اللحظة التي لمس فيها الحجر، حدث شيء غير متوقع. فجأة، اهتز البحر بشدة، وانفجرت الأمواج من حوله. كان الكائن الضخم، الذي كان يراقبهم طوال الوقت، يقترب بسرعة، وكان البحر يتحرك بشكل غريب. كان يحيى يشعر أن البحر قد أصبح مسكوناً بقوة أكبر، وأنه على وشك أن يكشف له السر الذي كان يخفيه لآلاف السنين. كانت اللحظة الحاسمة قد حانت. البحر قد بدأ يتحرك بشكل غير طبيعي، وكان يحيى يعلم أنه على وشك اكتشاف الحقيقة التي كانت مخفية في الأعماق، وأن هذه اللحظة قد تكون هي النقطة التي ستغير مصيره إلى الأبد.

الفصل السابع

بوابة الأعماق

كان البحر يهتز من حوله، والأمواج تتلاطم بشكل أكثر قوة، وكأنها تقاتل لتُسحب السفينة والطاقم إلى أعماق المحيط. يحيى كان يده على الحجر القديم الذي بدأ يتوهج في يده بقوة أكبر. كان الضوء ينبعث بشكل متسارع، وكأن السر الذي كان ينتظره قد بدأ يخرج إلى النور. كان الهواء المحيط به ثقيلًا، وكأن هناك طاقة هائلة تتجمع، قوة غير مرئية بدأت تؤثر عليه بشكل متسارع. فجأة، ومع تلك اللحظة الحاسمة، كان يحيى يشعر بشيء غريب في قلبه، وكأن شيئًا قد تغيّر في البحر، أو ربما هو نفسه قد تغيّر. كانت هناك حركة تحت سطح الماء، حركة تشبه الزئير الذي بدأ يقترب منه، وكان يحيى يدرك أن هذا الكائن الضخم الذي كان يراه طوال الوقت هو شيء آخر، شيء قديم، وشيء يحرس سرًا عميقًا في البحر. في تلك اللحظة، شعر يحيى بشيء عميق في قلبه، وكأن البحر نفسه قد اختار لحظة ظهوره. كان الضوء الذي ينبعث من الحجر يكشف عن شيء لا يمكن تفسيره. كان هناك بوابة تظهر بشكل تدريجي أمامه، بوابة عميقة داخل البحر، وكأنها مدخل إلى عالم آخر. "هل هو هنا؟" همس يحيى في نفسه، وهو يحدق في البوابة الغامضة. كان يتساءل عما سيجده وراءها. هل هي مجرد سر غامض أم أنها طريق للهروب؟ لكن شيء في قلبه كان يخبره أنه إذا عبر من هذه البوابة، فلن يعود كما كان. كان هناك تغيير كبير ينتظره، ربما لا يمكن العودة منه. بينما كان يحيى يراقب البوابة التي بدأت تظهر أكثر، كان البحر يهدأ تدريجيًا، وكأن الحركة العنيفة قد توقفت فجأة.

كانت المياه المحيطة به هادئة الآن، وكانت البوابة التي كانت تختفي تدريجيًا أمامه، تلمع بنور غريب، يتداخل مع الضباب المتصاعد من البحر. عند تلك اللحظة، شعر بشيء مختلف، كان هناك صوتًا داخل عقله، صوتًا يهمس له: "الوقت قد حان". كان الصوت عميقًا، كأن البحر نفسه يناديه. دون أن يفكر أكثر، قرر يحيى أن يغامر، وركض نحو البوابة، دون أن يلتفت للخلف. وما أن دخل إلى البوابة، حتى شعر وكأن جسده قد اقتلع من عالمه بشكل مفاجئ. كان الظلام يحيط به من كل جانب، وكانت المياه قد اختفت تمامًا. لم يعد هناك بحر، ولا رياح، ولا أمواج. فقط الظلام. لكن ما رآه بعدها كان شيئًا غير ممكن تصويره. أمامه، كان عالم غريب، مشهد يشبه العوالم الخيالية. كان يحيى يطفو في فراغ هائل، وسط أضواء متلألئة وأشكال غريبة تظهر وتختفي أمامه. كان هناك أصوات، همسات تأتي من كل اتجاه، لكن لم يكن يعرف مصدرها. كانت البوابة التي عبر منها قد اختفت، وكان يحيى الآن في مكان آخر، مكان لا يعرفه، لا يشبه أي شيء رآه في حياته. لكنه كان يشعر بشيء آخر أيضًا، شعور بالسلام العميق، وكأن البحر قد أخذه إلى مكان كان ينتظره طوال هذه المدة. "هل هذا هو المكان الذي كان يخفيه البحر؟" فكر يحيى، وهو يحاول أن يلتقط أنفاسه وسط هذا الفضاء الغريب. كانت الأضواء الساطعة من حوله تزداد إشراقًا، وكأنها تكشف عن شيء عميق في نفسه. في تلك اللحظة، بدأ يحيى يسمع صوتًا واضحًا، صوتًا غير مألوف، كان الصوت يأتي من أعماق هذا المكان. كان يشبه حديثًا قديمًا،

همسات من عالم بعيد، تشبه لغة لا يمكن فهمها.
كانت تلك الأصوات تتداخل مع بعضها البعض، كما لو أن
الزمن نفسه قد انكسر. ورغم شعور يحيى بالرهبة، كان
هناك شيء آخر داخل قلبه. شيء يشجعه على الاستمرار
في هذه الرحلة، كأن هذا المكان هو المكان الذي
ينتمي إليه. ولكن، ماذا سيحدث له الآن؟ وما هو السر
الذي يخبئه هذا العالم الغريب؟ هل هو على وشك
اكتشاف الحقيقة التي لطالما كان يبحث عنها؟ أم أنه
دخل في عالم لن يتمكن من الخروج منه أبدًا؟

الفصل الثامن

عولم ما وراء البحر

كان يحيى يطفو في هذا الفضاء الغريب الذي بدا كأرض من الأحلام، حيث الأضواء تتراقص في أرجاء المكان وكأنها تجسد عوالم لم يكن يعرف بوجودها. كل خطوة كان يخطوها على هذا الفراغ كانت تعطيه شعورًا بأن الزمن هنا لا يسير بالطريقة نفسها التي اعتاد عليها. كان المكان في حالة تجريد كاملة، وكان لا يبدو له بداية أو نهاية. كانت الأصوات التي كانت تهمس في آذنه تزداد وضوحًا، كانت لغة قديمة، غير مفهومة، تتداخل في أصداء من الأعماق، وكأنها دعوة لا يمكن مقاومتها. لكن يحيى، رغم الرهبة التي كانت تسكنه، شعر بقوة غير مرئية تدفعه للاستمرار في التقدم. بينما كان يحيى يبحر في هذا المكان الغريب، بدأ يلاحظ تفاصيل صغيرة تتكشف أمامه. كان هناك كائنات غير مرئية تتراقص في الأضواء، وكأنها تراقب كل تحركاته. هذه الكائنات لم تكن مثل أي كائنات رأتها عيناه من قبل؛ كانت تشبه الظلال التي تنتقل بين الأضواء، وكأنها روح المكان نفسه. لم يكن هناك شيء ثابت هنا. كلما حاول يحيى أن يحدد نقطة ثابتة أو هدفًا ليصل إليه، كان العالم من حوله يتغير، كما لو أنه كان داخل دوامة لا نهاية لها. وكان الصوت الذي يسمعه يزداد قوة، وكأنما يحاول أن يفتح له بوابة إلى عالم آخر. وفي لحظة من اللحظات، شعر يحيى بشيء ما يضغط عليه. كان الهواء حوله يصبح أكثر كثافة، وكأن هناك قوة أكبر تتحكم في هذا المكان. ثم، فجأة، ظهر أمامه كائن ضخم، كان أشبه بمخلوق أسطوري، بجسد ضبابي يلمع بألوان متغيرة، عينيه تومضان وكأنهما تتحدثان معه.

"أنت هنا، إذًا..." قال الكائن بصوت عميق، غير بشري، ولكنه كان يحمل في طياته طاقة عجيبة. "لقد اخترت الطريق الذي لا عودة منه. البحر قد أرسلني لمرشدتك." كان يحيى يقف متجمدًا في مكانه، عينيه تحدقان في الكائن الغريب. "من أنت؟ وما هذا المكان؟" أجاب الكائن بصوت هادئ، مليء بالحكمة: "أنا الحارس، أنا حارس البحر الذي لا يُرى. أما هذا المكان، فهو البوابة بين العوالم. هو مكانٌ لا يعرفه البشر، لأنهم لا يستطيعون رؤيته، إلا في اللحظات التي يكون فيها البحر بحاجة إلى من يستحق أن يعرف سره." تراجعت خطوة إلى الوراء، مترددًا. كان يحيى يشعر أن هذا الكائن يحمل المعرفة التي كان يبحث عنها، ولكنه في ذات الوقت كان مشوشًا بما كان يحدث. "لماذا أنا؟ لماذا أرسلني البحر إلى هنا؟" ضحك الكائن بصوت خافت، كأنما يعرف الإجابة مسبقًا. "البحر لا يختار إلا من يرى فيهم جزءًا من نفسه. أنت لست مجرد مغامر ضائع في وسط البحر. هناك شيء بداخلك، شيء قديم، جزء من لغز البحر الذي يتخطى حدود الزمن." كان يحيى يحاول استيعاب ما قاله الكائن، لكن كل شيء كان يبدو ضبابيًا. "ماذا تريد مني أن أفعل؟" قال الكائن بتردد: "قبل أن تكتشف سر البحر، يجب عليك أن تلمس حقيقة مظلمة عنك، حقيقة عن العالم الذي تركته خلفك. لا يمكنك الهروب من الماضي إذا كنت ستعرف سر المستقبل. البحر هو مرآة لنفسك، ويجب عليك أن ترى ما بداخلك." بينما كان يحيى يفكر في كلمات الكائن، شعر بشيء غريب يحدث له.

استيعا ما قاله الكائن، لكن كل شيء كان يبدو ضبابيًا. "ماذا تريد مني أن أفعل؟" قال الكائن بتردد: "قبل أن تكتشف سر البحر، يجب عليك أن تلمس حقيقة مظلمة عنك، حقيقة عن العالم الذي تركته خلفك. لا يمكنك الهروب من الماضي إذا كنت ستعرف سر المستقبل. البحر هو مرآة لنفسك، ويجب عليك أن ترى ما بداخلك." بينما كان يحيى يفكر في كلمات الكائن، شعر بشيء غريب يحدث له. كانت رؤيته تتشوش، وكأن موجة من الذكريات تدفق عليه فجأة. كانت مشاهد من حياته الماضية تتوالى أمامه، مشاهد من طفولته، من أيام دراسته، ومن لحظات لم يكن يتذكرها من قبل. لكن بين كل هذه الذكريات، كان هناك شيء مظلم، شيء لم يكن قد تذكره أبدًا، شيء كان يحيى يهرب منه. كانت تلك الذكرى التي دفنها في أعماق نفسه، تلك اللحظة التي كانت مرتبطة بوالده، الذي اختفى في حادث غريب حين كان يحيى صغيرًا. "أنت في مواجهة نفسك الآن، يحيى." قال الكائن بصوت عميق. "البحر لا يخبئ أسرارًا فقط عن العالم، بل عن أولئك الذين يجروون على دخوله." توقف يحيى عن التفكير للحظة، وبدأت الصورة تتضح في ذهنه. كان عليه أن يواجه هذا الجزء من نفسه، الجزء الذي كان يهرب منه طوال حياته. البحر، في نهايته، كان يشير إلى نفس داخله كان قد تركه وراءه. كانت هذه هي اللحظة التي سيكشف فيها السر الحقيقي.

الفصل التاسع

الحقيقة المخبأة

كان يحيى يقف صامتًا في المكان الغريب، عينيه تغرقان في ضوء الكائن الضبابي الذي أمامه. الكلمات التي نطق بها الكائن كانت تتردد في ذهنه، وكأنها تلمس أعماق قلبه. البحر لم يكن مجرد بحر. كان مرآة. مرآة تعكس كل شيء، كل الذكريات والأسرار التي كان يظن أنه نساها. "أنت في مواجهة نفسك الآن، يحيى." تلك الكلمات كانت تتكرر في ذهنه، كلما حاول أن يتعد عنها. البحر كان يناديه ليواجه ما يهرب منه. كانت تلك اللحظة، التي طغت فيها الذكريات، هي اللحظة التي كشف فيها يحيى عن أكبر سر في حياته، السر الذي كان يظنه مغطى إلى الأبد. صور والده المفقود عادت إلى ذهنه بقوة، ذكريات الطفولة التي كان يهرب منها. كانت تلك الحادثة التي اختفى فيها والده قد تركت أثرًا عميقًا في قلب يحيى. كان يظن دائمًا أنه فقد والده في حادث عرضي، حادث كان وراءه الأمواج العاتية، لكنها كانت أكثر من مجرد حادث. كان والده قد اختفى في البحر، ولكنه ترك وراءه سرًا غامضًا، سرًا لم يكن يحيى مستعدًا له. "أنت تعرف، يحيى." قال الكائن مرة أخرى، وهو يقترب منه بخطوات بطيئة. "والدك كان أحد الذين اختارهم البحر. كان يمتلك السر نفسه، السر الذي حملته أنت في داخلك. هو الذي فتح البوابة لأول مرة، ولكن البحر كان له حسابات أخرى." كان يحيى ينظر إلى الكائن، وكانت الدموع تتجمع في عينيه. "هل كان والدي يعرف كل هذا؟ هل كان يعلم أن البحر كان يخبئ شيئًا؟" أجاب الكائن بصوت خافت: "كان والده أيضًا حارسًا لهذا السر، ولكنه دفع ثمن اكتشافه. البحر لا يرحم من يقترب منه أكثر مما يجب."

وهو كان قد قرر أن يختبره. "ابتلع يحيى ريقه، وكان قلبه ينبض بشدة. "إذن... ماذا يحدث الآن؟ هل سأواجه نفس المصير؟" ابتسم الكائن ابتسامة غامضة، وهو يجيب: "لن تكون أنت مثل والدك. البحر اختارك، لأنه يعلم أنك قادر على مواجهة الحقيقة التي يخبئها. الحقيقة لا تكمن في الماضي، بل في ما ستفعله الآن. ستجد إجابة عن كل شيء في مكان ما في البحر، لكنك لا تستطيع العودة إلى ما كان. ستحمل شيئاً جديداً، شيئاً سيغير كل شيء." بدأ يحيى يشعر بشيء غريب في جسده، كأن طاقة ما تجري في عروقه. كان يتذكر كل لحظة من حياته، كل ثانية أمضاها في البحث عن جواب، وكل لحظة شعر فيها بالضيق. لكن الآن، كان كل شيء يتجمع معاً. كان يعرف أن البحر كان لا يخفي شيئاً فحسب، بل كان يختبره، يختبر قوة إرادته، وقدرته على مواجهة الماضي. لكن ماذا كان سر البحر؟ ماذا كان ذلك اللغز الذي كان يحاول أن يكتشفه طوال هذه الرحلة؟ كان يحيى يعلم أنه قد وصل إلى نقطة اللاعودة. قد تكون هذه هي اللحظة التي سيكشف فيها عن الحقيقة التي لا يستطيع الهروب منها. بينما كان يحيى يحدق في الكائن، شعر بشيء ثقيل في قلبه، وكأن البحر بأسره يراقب كل خطوة من خطواته. كان يعلم أنه لا يمكنه العودة إلى الوراء، وأنه إذا أراد أن يكتشف سر البحر، فعليه أن يواجه أعماق المخاوف في نفسه. "لن تكتشف السر من دون أن تدفع الثمن." قال الكائن ببطء، وكأن كلماته تحمل في طياتها حكمة قديمة.

"هل أنا مستعد؟" تساءل يحيى في نفسه، بينما كانت الأمواج من حوله تبدأ في التلاطم مجددًا، وكأن البحر نفسه كان يستعد لما سيحدث بعد ذلك. أخذ يحيى نفسًا عميقًا، وقرر أن يستمر. كان يعلم أنه قد وصل إلى اللحظة التي كانت ستغير كل شيء، وأنه لا يوجد مجال للخوف بعد الآن. البحر كان أكثر من مجرد مكان. كان اختبارًا، وكان الوقت قد حان ليكتشف يحيى ماذا يعني أن تكون حقًا جزءًا من هذا العالم الغريب.

الفصل الأخير

سر البحر

كان يحيى يقف على حافة الحقيقة، قلبه ينبض بقوة لا يمكن تجاهلها. كان يعلم أن هذه اللحظة هي النهاية، وأنه على وشك اكتشاف السر الذي كان يخبئه البحر لعقود طويلة. كان الهواء حوله مشبعًا بالطاقة، والأضواء التي كانت تتراقص في هذا المكان الغريب بدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا، تاركة المكان في ظلام دامس، سوى ضوء خافت ينبعث من البحر نفسه. كان الكائن الضبابي أمامه، ساكنًا، عيونه تتلألأ وكأنها ترى إلى أعماق روحه. كان يحيى يشعر بشيء غير مريح يتسرب إلى قلبه، لكنه كان يعلم في أعماقه أن هذه هي اللحظة التي لا مفر منها. عليه أن يواجه هذا السر، وأن يتقبل ما سيكتشفه. "أنت على وشك معرفة كل شيء." قال الكائن بصوت هادئ، لكن كلماته كانت تعني أكثر مما يبدو. "لكن تذكر، يا يحيى، البحر لا يعيد ما يكشفه. ما تكتشفه الآن سيغيرك للأبد." أغمض يحيى عينيه للحظة، محاولًا جمع أفكاره. كان يعلم أنه مهما كان السر الذي يخبئه البحر، لا بد أن له علاقة بما مر به، بكل الألم والفراغ الذي شعر به في حياته. كان يعلم أنه جزء من هذه القصة، من هذا اللغز الغامض. ببطء، فتح عينيه، وتقدم نحو البحر. كانت الأمواج التي كانت تتلاطم سابقًا قد هدأت، وصار البحر الآن أكثر هدوءًا مما كان عليه. كان يبدو وكأنه ينتظر شيئًا، شيئًا غير عادي. توقف يحيى على حافة الماء، وتلمس سطح البحر بيده. في تلك اللحظة، شعر بشيء غريب. كأن البحر قد استجاب له. تخلل شعور بارد جسده، لكن في نفس الوقت كان يشع بالأضواء الدافئة التي لا تفسرها العيون. وفجأة،

انفجرت المياه أمامه، وتشكّل شيء ضبابي عظيم، كأنه نهر من الزمن، يتداخل بين الواقع والخيال. كانت صورة والده تظهر أمامه، تجسد أمامه بشكل حقيقي، وكأن الزمن قد عاد به إلى الوراء. "أنت لم تفقدني يا يحيى." قال والده، بينما كانت صورته تتلاشى ببطء. "أنا كنت هنا طوال الوقت، في هذا البحر، أحرص السر الذي لم يكن لك أن تراه حتى تكون جاهزاً له." كانت كلمات والده تتردد في ذهنه، وكانت الصور تتسارع أمامه، صور عن البحر، عن المغامرة، عن الفقد، وعن الحب الذي لم يكن يعلم بوجوده. كان يحيى قد بدأ يفهم. فهم أن البحر لم يكن مجرد مكان للبحث، بل كان رحلة داخل نفسه، رحلة لاكتشاف ما يخبئه القلب من أوجاع، وما يخبئه العقل من خوف. "لكن ما هو السر؟" همس يحيى، بينما كانت الأمواج تتسارع في محيطه. أجاب الكائن الضبابي بهدوء، كأنما كان يعلم الإجابة منذ البداية: "السر ليس في البحر، يا يحيى. السر هو أنك قادر على تغيير مصيرك، على أن تكون أنت من تحدد ما سيحدث لك، وليس البحر أو أي شيء آخر. البحر هو مجرد انعكاس لما بداخلك. فقط عندما تعترف بكل مشاعرك، بكل ألمك، بكل حبك، حينها يمكنك أن تجد السلام." كان يحيى يتنفس بصعوبة، وكأن كلمات الكائن قد نزلت عليه كصاعقة. البحر لم يكن يحفظ سرًا ماديًا، بل كان يحفظ سرًا روحيًا. السر كان يكمن في الطريقة التي يتعامل بها مع نفسه ومع الماضي الذي حمله. وها هو الآن، يقف على حافة الاكتشاف. الفقد لم يكن نهاية. البحر لم يكن هو اللغز. السر هو أن الحياة مستمرة، وأنه هو من يمتلك القوة للانطلاق من جديد. "الآن، يمكنك العودة."

" قال الكائن، وعيناه تتلأأ كالشمس الساطعة. "لكنك لن تكون كما كنت. ستكون أنت، الشخص الذي اخترت أن تكونه." وفي لحظة واحدة، بدأت الأمواج تهدأ، والضباب ينسحب. بدأ يحيى يشعر بشيء غريب، كأن شيئاً قد تغير في داخله. كان البحر يتعد ببطء، وعاد المكان ليأخذ شكله المعتاد، كما كان قبل أن يدخل يحيى هذا العالم الغريب. فتح يحيى عينيه، ووجد نفسه في البحر نفسه، ولكنه الآن يشعر بشيء مختلف. كانت الأمواج تتلاطم بلطف حوله، والسماء تبدو صافية، كأنها قد تغسلت من كل الغبار الذي كان يعكر صفوها. كان يحيى يشعر بالسلام في قلبه، سلام لم يشعر به من قبل. ابتسم يحيى، وهو يراقب البحر من حوله. لقد فهم السر أخيراً. البحر لم يكن سوى مرآة لنفسه، وكان عليه أن يتقبل ما مر به، ليشعر بالسلام. كانت الرحلة قد انتهت، لكنه الآن يعلم أنه لا يوجد نهاية حقيقية، لأن الحياة مستمرة، وتبدأ من جديد.

النهاية

خاتمة

في "أمواج في ليلة مظلمة"، قدم أحمد حسن لنا قصة تتجاوز حدود البحر إلى أعماق النفس البشرية. رحلة يحيى، بطل القصة، لم تكن مجرد مغامرة بحرية، بل كانت مسارًا لاكتشاف الذات، حيث تعلم أن كل موجة، مهما كانت عاتية، تحمل درسًا في الحياة. البحر لم يكن مجرد عائق، بل كان مرآة لروحه، يعكس له كل ما كان يهرب منه. من خلال مواجهة الماضي والمستقبل، اكتشف يحيى أن الإجابات التي كان يبحث عنها كانت موجودة في داخله، وأن السلام الداخلي لا يتحقق إلا عندما نواجه أنفسنا بكل ما فيها من ألم وأهل. في النهاية، لم يكن البحر هو الذي علمه الحقيقة،

كتاب "أمواج في ليلة مظلمة" هو دعوة لكل منا للخصوص في أعماقنا، لتكتشف أن التغيير يبدأ من الداخل، وأن الحياة، بكل تقلباتها، تستحق أن نعيشها بشجاعة وإيمان.

وأخيرًا، أشكر قارئِي العزيز على اصطحابي في هذه الرحلة. أمل أن تكون قد وجدت في صفحات هذا الكتاب ما يلامس قلبك ويحفرك على استكشاف أعماق نفسك، كما فعل بطل القصة.



غ / احمد حسن



احمد حسن

امواج في ليله مظلمة

